الحلم

يستيقظ قبل موعد رحلته بخمس ساعات، يمسك سماعة الهاتف ويداه ترتجفان...

ألو شركة الطيران الوطنية؟

نعم، تفضل.

أرجو إلغاء رحلتي على الطائرة المتجهة إلى العاصمة، وسوف أقوم بحجز رحلة أخرى فيما بعد.

حاضر يا سيدي، على أن تقوم بالحجز قبل الرحلة بعشر ساعات على الأقل.

ينهي المكالمة، يسترخي على الطقم الإيطالي الفاخر الذي يحتل حيزًا متميزًا في الجناح الذي يقطنه في أكبر فنادق المدينة ...

يطلب كوبًا من الشاي ليهدِئ أعصابه ...

ما هذا الحلم المزعج؟ أيعقل أن أحمله على محمل الجد؟ كلا، لا يمكن أن أكون بهذه الشخصية المهترئة.

يفتح صنبور الماء لينعش جسده بالماء الساخن، ثم يتناول الحبوب المهدئة التي أدمن على تعاطيها منذ سنوات، بعدها يخرج في جولة بالسوق المركزي، يعود إلى الفندق ليتناول طعام الغذاء، يفتح نافذة الجناح ويمدد رجليه متأملا المدينة المزدحمة في فترة المساء، يتلقى اتصالا من زوجته...

ألو نادر، لماذا لم تعد على رحلة هذا الصباح؟

لا تقلقي يا عزيزتي سأعود في رحلة الغد.

لِمَ؟

صدقيني لا شيء، استجدت بعض الأمور المتعلقة بالعمل، وسأنتهي منها في خلال الساعات القادمة.

يتصل بشركة الطيران طالبًا الحجز على رحلة صباح الغد المتجهة إلى العاصمة، ثم يقضي الليل في مشاهدة القنوات الفضائية وينام...

(برق يضرب برج اتصالات الطيران... الأمطار تتساقط بغزارة والرياح العاتية تقتلع الأشجار وأسقف مباني المطار... الطائرة يصيبها البرق فتشتعل فيها النيران وتهوي محترقة على الأرض).

يستيقظ مذعورًا، يغسل وجهه، يفتح جهاز التلفاز ويتابع آخر الأخبار، ولكن لا شيء غير عادي، ينتابه القلق، يتصل مرة أخرى ويلغي الحجز...

ألو نادر، لماذا لم تأتِ هذه المرة أيضًا؟

لا أعرف يا عزيزتي، ينتابني إحساس بأن أمرًا ما سوف يحدث.

مثل ماذا؟

لعل الطائرة التي سأستقلها ستسقط وسيموت جميع ركابها.

وما الذي دعاك لقول هذا؟

هكذا رأيت في المنام.

يا عزيزي إنها أضغاث أحلام ليس إلا، هل حدث مكروه للطائرة في المرة الأولى؟

لا.

إذن، ليس سوى حلم عابر سببه الإرهاق والقلق نتيجة المجهود الذي بذلته خلال أيام إقامتك وحيدًا في هذه المدينة، هيا احجز مقعدًا في رحلة الغد ودع عنك هذا الهراء.

حسنًا يا عزيزتي سأفعل ما تقولين.

يعود ليحجز مقعدًا في الرحلة القادمة، ولكنَّ الحلم يعاوده مرة أخرى...

(رياح عاتية وأمطار غزيرة، المطار تشتعل النار في أرجائه والناس تفر منه في مختلف الاتجاهات، الطائرة تهوي كنيزك نازل من السماء، والركاب يتساقطون منها والنيران تشتعل في أجسادهم).

يستيقظ من حلمه هذه المرة وأعصابه متماسكة وعلى ملامح وجهه الغضب، يتناول حبوبه المهدئة ثم يغادر الفندق ويستقل سيارة أجرة...

الطقس جميل هذا اليوم أليس كذلك؟

نعم يا سيدي، ولكني سمعت مذيع النشرة الجوية يقول إنه يتوقع هبوب رياح شديدة مع تساقط أمطار خلال الساعات القادمة.

غير معقول، السماء صافية تمامًا ولا أثر لأي سحب في الجو.

أتمنى ذلك يا سيدي.

يصل إلى المطار، الحركة اعتيادية والناس يمارسون حياتهم بنشاط وحيوية، فجأة تتلبد السماء بالغيوم وتهب الرياح، نادر ينتابه القلق، يسأل موظف الاستقبال:

هل سيتأخر موعد الإقلاع؟

لا يا سيدي ستقلع الطائرة في موعدها تمامًا.

يزداد قلق نادر، يلاحظ ذلك أحد موظفي الأمن ...

هل تحتاج إلى مساعدة يا سيدي؟

لا، شكرا! مجرد إرهاق بسيط.

يتوجه إلى الطائرة، يشعر بعجز في مواصلة المشي، لا يستطيع الاستمرار في صعود السلم...

- هيا، الطائرة ستقلع قريبا.

- لا، لا أقدر... لا أقدر.

يعود أدراجه ...

ما بك يا سيدي؟

أريد أن أقابل مدير الطيران للأهمية القصوى.

يرشده موظف الأمن لمكتب مدير الطيران ...

هل تريد أن نؤجل الرحلة من أجل حلم؟

صدقني أنا أشعر بأن الطائرة ستنفجر وستسقط على الأرض.

حسنا سيد نادر، لقد فتشنا حقائبك ولم نعثر على أي شيء يشير إلى ما تقصد، وفحصنا مرة أخرى محركات الطائرة فوجدناها سليمة تماما، وأعدنا تفتيش حقائب المسافرين فلم نعثر على أية محظورات من أي نوع كان، أمامك الآن خياران، إما ركوب الطائرة والسفر إلى مقصدك، أو أن تغادر المطار حالا وتأتي مرة أخرى عندما تهدأ أعصابك.

نادر لا يعرف ماذا يفعل، ولكنه يقرر على عجل الرجوع إلى الفندق.

يعود أدراجه ليسكن في الجناح نفسه، يتناول حبة مهدئة ويسلم نفسه للنوم العميق.

تضج مضجعه طرقات حادة ومزعجة، يفتح الباب بسرعة...

أنت المدعو نادر؟

نعم، من أنتم؟

نحن الشرطة أنت مقبوض عليك.

تصيبه صدمة وينتابه الذهول ...

لماذا؟

ستعرف!...

يقاد إلى غرفة مظلمة، يسلط الضوء المشع على وجهه، يفك قيـده، يمسك المحقق بسيجار ويدخن بهدوء...

هل تدخن يا أخ نادر؟

لا، شكرا!

هل تعرف لماذا أنت هنا؟

لا، يا سيدي .

إن الطائرة التي كنت قد حجزت على رحلتها المتجهة إلى العاصمة في هذا اليوم تحطمت للأسف الشديد!

ماذا؟ غير معقول!

نعم هذا ما حدث.

لقد حذرت مدير الطيران ولكنه لم يقتنع.

سيد نادر كيف عرفت أن الطائرة سوف تتحطم؟

حلمت بذلك.

حلم! أنت تشكك في سلامة عقولنا أم ماذا؟

صدقني أنا أقول الحقيقة.

أي حقيقة يا نادر؟ أتقصد أن الحقيقة حلم؟

نعم.

ما هذا الكلام الفارغ، سوف تتحمل نتيجة هرائك.

تقيد أطرافه مرة أخرى، يقاد من تحقيق إلى تحقيق، يعرض على أطباء نفسيين للتأكد من سلامة عقله ومداركه...

في المحكمة:

أنت متهم بالمشاركة في تفجير الطائرة المنكوبة.

كلا، لم يحدث .

وعندما استيقظ ضميرك جئت إلى المطار في محاولة منك لإنقاذ الركاب، وحتى تنزه نفسك عن هذا الجرم المريع اختلقت حكاية الحلم. ما ردك؟

صدقوني... إنه حلم... حلم!

أثبت ذلك.

لقد ألغيت رحلتين من قبل للسبب نفسه.

كلام فارغ، الحقيقة يا سيدي القاضي ويا حضرات المحلفين، إن السيد نادر لم يتمكن من تهريب المتفجرات إلى الطائرة في المرتين السابقتين، ولكن عندما استطاع أحد شركائه تهريبها استيقظ ضميره فجأة وأنَّبه، فاختلق الأعذار والأكاذيب أمام مدير الطيران لكي لا تقلع الطائرة، إلا أن الكارثة التي شارك في صنعها قد وقعت، والجريمة التي هو أحد أطرافها قد ارتكبت.

كلا، هذا كلام غير صحيح.

أثبت ذلك يا سيد نادر، كل الأدلة ضدك.

إذن أين شركائي؟

سيتم القبض عليهم عما قريب.

كلا، أنا بريء وليس لي شركاء، لقد حاولت إنقاذ الضحايا ولو تم إيقاف الرحلة لما حدث أي مكروه لأحد... صدقوني.

اعترف يا نادر ... اعترف وسوف نخفف عنك الحكم إكرامًا لضميرك الذي استيقظ في الوقت الضائع.

أنا بريء ... بريء... بريء... صدقوني!

يذهب صوته أدراج الرياح ...

يحكم عليه القاضي بعشرين عامًا في السجن، ينظر نادر للقاضي وللمدعي العام ولأقرباء الضحايا ويقول لهم بصوت جهوري:

- أنا حاولت إنقاذ الضحايا، لقد كان حلمي رسالة لكم من العالم الآخر ولكنكم لم تصدقوني، وعوضًا عن ذلك اتهمتموني بما أنا بعيد عنه، سأرحل عن عالمكم المجنون، ولكن تأكدوا بأني سأظهر في أحلامكم، حتى يأتي اليوم الذي تفيق فيه الحقيقة من سباتها وتُعْلَنُ براءتي، وحينها فقط ستكونُ للأحلام قيمةٌ تضاهي حقائقكم المزيفة.